

الراحمون يرحمهم الرحمن

خطبة لسماحة المفتي عبد العزيز آل الشيخ

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ 1430-1-26

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله، عباد الله، الرحمة صفة من صفات الله، صفة كمال الله -جل وعلا-، على ما يليق بجلاله، صفة الرحمة، صفة تليق بجلال الله لا تشابهها صفات المخلوقين؛ فهي كمال على الإطلاق، وربنا -جل وعلا- متصف بالرحمة؛ فرحمته وسعت كل شيء، كتب على نفسه الرحمة؛ فهو خير الراحمين -جل وعلا-، وأرحم الراحمين، وخير الراحمين، رحمته وسعت كل شيء، وعمت كل حي: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)، (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ). إن من تدبر آيات القرآن، وسنة محمد -صلى الله عليه وسلم- يجد للرحمة شأنًا عظيمًا. الله -جل وعلا- خلق الرحمة مئة جزء، أنزل رحمة في الأرض بها يتراحم العباد، حتى ترفع البهيمة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه. الناس بأمر الحاجة إلى أن يرحم بعضهم بعضاً؛ فهم بحاجة إلى رحيم، وباجة -أيضا- إلى حلم يسع جهلهم، وثبات لا يتأثر بضعفهم. المسلم ذو رحمة عظيمة؛ فهو يرحم المنكوبين، ويبدل المعروف، ويواسي المحتاجين، ويعطف على المحرومين، ويمسح دموع اليتيم ويحسن إليه.

أيها المسلم، أيها المسلم، إن الرحمة خلق عظيم لا تنزع إلا من شقي، وإنها الصلة بين الله وبين عبادته؛ فرحمهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب لهدايتهم؛ فبرحمته هداهم، وبرحمته عافاهم، وبرحمته رزقهم وأحسن إليهم، وبرحمته أثاب المطيعين: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)، إن محمد -صلى الله عليه وسلم- بعث رحمة للعالمين: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)؛ فرحم الله به أهل الأرض كلهم، رحمة علمة، من انقاد إلى شرعه نال السعادة في الدنيا والآخرة، ومن لم ينقد وخضع لحكمه عاش في ظل عدالة الإسلام محفوظ الدم والمال والعرض.

أيها المسلمون؛ فمحمد -صلى الله عليه وسلم- رحمة للعالمين، ملأ الله قلبه رحمة وحلما، وجعل خلقه البر والأنس، وجعل طبعه اللين والسهولة، وجعل كفه كفا نبيه باذلاً للمعروف؛ فهو أكمل الخلق رحمة وعلما، وأوسعهم عاطفة، وأطيبهم خلقا، وأنداهم كفا -صلى الله عليه وسلم- تسليما كثيرا: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)، (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)، دين الإسلام دين الرحمة، دين الخير والعدل والإحسان، يقول -صلى الله عليه وسلم-: "الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"، وفي الحديث: "من لا يرحم لا يُرحم"، "مثل المسلمين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر". وإن المتأمل في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- يجد أن للرحمة مجالا واسعا، وميدانا فسيحا؛ فأنواع الرحمة التي دل القرآن والسنة عليها كثيرة؛ فمنها: رحمة الوالدين، رحمة الأبوين الأم والأب، ترحم الأبوين، رحمة تدعوك للإحسان إليهما، وإلى طاعتهما بالمعروف، وإلى الرفق بهما لا سيما عند كبر سنهما، وضعف قوتهما: (إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا *وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)؛ فبرحمتك

للأبوين تستوجب رحمة الله، وبإحسانك إليهما تكون السعادة في الدنيا والآخرة. ومن أنواع الرحمة: رحمة الأولاد من بنين وبنات، رحمة تقتضي تعليمهم، وتأديبهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإقامتهم على الخير، وأن تكون قدوة لهم حسنة في الفعل الجميل، ومن رحمتهم: الإحسان إليهم بالنفقة، كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول، ومن الرحمة إليهم: التحبب إليهم بالأقوال والأفعال؛ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- جاءه أعرابي؛ فسأله: **أقبلون صبيانكم؟ قال: "نعم"! قال: إن لي عشرة ما قبلت واحدا منهم؛ فنظر إليه النبي؛ فقال: "من لا يرحم لا يرحم"**، وقال: **"ما أملك أن ينزع الله الرحمة من قلبك"**. قال أسامة بن زيد: **جئت أنا والحسنين إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فأجلسنا على فخذيه، ثم ضمنا، وقال: "اللهم ارحمهما؛ فإني أرحمهما وأحبهما"**؛ فرحمة الأولاد بالإحسان إليهما، وتأديبهم، والعدل بينهم في الأحوال كلها. جاء بشير بن سعد للنبي -صلى الله عليه وسلم- يشهده على أنه سيمنح ابنه النعمان منحة خاصة؛ ليشهده عليها؛ فقال: **"أكل ولدك أعطيتهم مثل ذلك؟ قال: لا، قال: "اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم"**، ويرحم البنات ويحسن إليهم ويرفق بهم؛ فمن عالج جارين حتى يكبرا كانتا له حجاب من النار. ومن أنواع الرحمة: رحمة الأقارب، رحمة الأرحام من أقارب الأم والأب، رحمتهم بالإحسان إليهم، وبذل المعروف لهم، والاتصال بهم، وتحمل بعض ما يكون من أخطائهم؛ فالرحمة مشقة من أسم الرحمن، الله يقول للرحم: **"أنا الرحمان وأنت الرحم، ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك"**، قالت: نعم، قال: **"فذلك لك"**؛ فرحمة الأقارب الإحسان إليهم وصلتهم ليس الواصل بالمكافئ، إنما الواصل الذي إذا قطعه رحمه وصلها. ومن أنواع الرحمة: رحمة الخدم رحمة المستخدمين رحمتهم، أن لا تكلفهم ما لا يطيقون، وأن لا تؤذيهم بالأقوال والأفعال السيئة، بأن تكون معطياً لهم حقوقهم، مراعيًا ضعفهم وحاجتهم؛ فلا تظلمهم في حقوقهم، ولا تحملهم ما لا يطيقون، ولا تؤذيهم بقول سيء أو فعل سيء، قال أنس رضي الله عنه: **"خدمت النبي -صلى الله عليه وسلم- عشر سنين؛ فما قال لي شيء قط ما قال لي شيء صنعته، لما صنعتُه؟ ولا لشيء تركته، لما تركته؟"**، قال أبو مسعود: كان معي غلام؛ فغضبت عليه؛ فجعلت أضربه بالسوط، وأشدت غضبي، وإذا صوت من ورائي يقول: **"اعلم أبا مسعود! فلم أشعر من عظم الغضب حتى قرب مني النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فقال: "يا أبا مسعود! الله أقدر عليك من قدرتك على هذا"**، قال: **يا رسول الله هو حر الله، قال: "لو لم تفعل للفت النار وجهك يوم القيامة"**. ومن أنواع الرحمة: الرحمة بالمعاقين بالمرضى، المزمنين بالمحتاجين؛ فترحم المرضى والمعاقين أولئك الذين قضت بهم الأمور، وضعفت حيلتهم، وقل تصرفهم ترحمهم بالإحسان إليهم وإيوائهم والمساهمة في كل ما يعود عليهم بالخير، ترحم المرضى، وترحم المعاق، وترحم العاجز وترحم الأخرق، رحمة منك تواسيهم بها؛ فتضمد جراحهم، وتقوم بمهمتهم. ومنها رحمة الصغار والكبار: فليس منا من لم يرحم صغيرنا، ولا يعرف قدر كبيرنا؛ فيرحم الشباب المسنين، ويحسنون إليهم، ويحترمونها، ويقدمونهم، ولا يسيئون إليهم، ويرحم الكبار الصغار؛ فيعطون عليهم ويحسنون إليهم، هكذا الرحمة بين المسلمين. ومن أنواع الرحمة: أن ترحم اليتيم، ترحم اليتيم فاقد الأب أو فاقد الأبوين، رحمة تقبل الإحسان إليهم، وتربيتهم، وتوجيههم، أتى رجل للنبي -صلى الله عليه وسلم- يشكو إليه قسوة قلبه؛ فقال: **"أحسن لليتيم، وامسح رأس اليتيم، وأطعمه من طعامك"**، والله يقول: **(وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)**، ترحم المهموم والمحزون، ترحم من أثقلت الديون، وضاق به الأمور، وتتابعته عليه الكربات ترحمه؛ فتفرج همه، وتيسر أمره، وتندره إن كان لك حقا عليه، ترحمه بذلك: **"ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"**. ومن أنواع الرحمة: أن ترحم المظلوم المعتدى عليه، ترحمه فتقف في صفه ناصراً له، وموجهاً إليه، ودالاً له على الطرق الشرعية، والوسائل النافعة التي يستطيع بها دفع الظلم عن نفسه؛ ففي الحديث: **"انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً! قالوا: يا رسول الله ننصره مظلوماً؛ فكيف ننصره ظالماً؟ قال: "تردعه عن الظلم؛ فذاك نصرك إياه"**، ترحم هذا المظلوم، وتقف في صفه، وتوجهه إلى الطرق التي يستطيع بتوفيق الله، بتحقيق العدل ورفع الظلم عنه، تقف معه موقفاً بصدق وإخلاص، ونية صالحة؛ لترفع عن أخيك تلك المظالم التي ظلم بها؛ فربما يكون قاصراً لا يستطيع الدفاع عن نفسه، ولا يستطيع أن يقف أمام القضاء

ليبيدي حاجته؛ لأن خصمه ألد الخصوم لا لسان مستقيم، وقلة حياء أو مكانة يعجز هذا المسكين، أن يراحم ويدافع عن نفسه؛ فتقف معه ناصراً ومؤيداً له. ومن أنواع الرحمة: أن ترحم الأحمق والجاهل فلا تؤاخذ به حماقته، ولا تعامله بسوء أقواله؛ فإن من عباد الله من لا حياء عنده، ضعيف العقل قليل التصرف، يتفوه بلسانه بأمر لا يزن ما يقول، ويتصرف تصرفات جاهلية، جهلاً وعدم مبالاة؛ فترحم هذا الأحمق وتوجهه للخير، ولا تؤاخذ بأقواله وتصرفاته، بل تسعى في تسديد أحواله، عسى أن يعود إلى رشده. ومن أنواع الرحمة: أن ترحم الجاهل الذي عمل عملاً يظنه خيراً، وهو لا يدري ولا يميز الحق من الباطل؛ فترحم جهله وتوجهه وتهديه الطريق المستقيم، جاء أعرابي في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم-؛ فبال في المسجد؛ فزجره الناس؛ فقال: "دعوه لا تزرموه، حتى إذا قضى بوله أمر بدلو مليئة ماء؛ فصبت على ذلك المكان، ثم دعا الرجل، وأخبره أن المساجد لم تبنى لهذا بنيت: للصلاة وتلاوة القرآن والذكر"؛ فقال: اللهم ارحمني ومحمداً، وأدخلني وإياه الجنة، ولا تدخل معنا أحداً؛ فقال: "يا أخ العرب لقد تحجرت واسعا!"، تلك الرحمة، وذلك التعليم والرفق بهذا الجاهل، بإيصال كلمة الحق إلى نفسه، والقيام بإصلاح أخطائه، هكذا الرحمة في الإسلام. ومن أنواع الرحمة: أن ترحم العاصي والمخالف للشريعة، ترحم ذلك الإنسان الذي استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله، ذلك العدو الذي يجري منا مجرى الدم، ترحم هذا العاصي، رحمة تقض عليك أن تأمره بالمعروف، وتنهيه عن المنكر، وتعامله بالرفق واللين، فلا تكن هاتكاً لستره، ولا كاشفاً لعورات، ولا فاضحاً له بين الأنام، وإنما تسعى في تضيق شقة الشر ونصيحته وتوجيهه، عسى أن يعود إلى رشده! عسى أن يستقيم! عسى أن يعرف الحق! عسى الله أن يفتح على قلبه! فليست مهمتك التشهير به، ولا الإساءة إليه، ولا محبة مخالفته، وإنما أنت ترحمه؛ فتبين الحق على حقيقته، وتحذره من الشر، وتأمره بالمعروف، وتنهيه عن المنكر برفق، ولين وطمأنينة تحرص على هدايته؛ فيسرك أن يهتدي، وبسينك أن يستمر ويلج في طغيانه ومخالفته.

أيها المسلمون، أيها المسلمون، أيها المسلمون، بالرحمة تجتمع القلوب، وبالرفق تطمئن النفوس، وتجتمع الكلمة، ويعرف كل حق صاحبه، إن الرحمة مطلوبة من كل مسلم، مطلوبة منه على قدر استطاعته؛ فهو يرحم إخوانه، ويرحم أخواته وأقاربه، يرحم أولاده وبناته، يرحم أبائهم وأمهاتهم، يرحم جيرانه، يرحم المخالف والمسيء، ويرحم كل أحد، هذه الرحمة التي تنبثق من قلب مليء إيماناً. ومن الرحمة -أيضاً-: الرحمة بالحيوان؛ فرحمة الحيوان أيضاً لها نصيب كبير؛ فأبواب النار فتحت لامرأة حبست هرة لا هي أطعمتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض، وفتحت أبواب الجنة الثمانية، فتحت أبواب الجنة الثمانية لامرأة بغية سقت كلباً؛ فشكر الله لها؛ فأدخلها الجنة، هكذا الرحمة التي دعا الإسلام إليها، رحمة للإنسان، ورحمة للحيوان، رحمة حقيقية لا إدعاء، رحمة يملئها الإيمان الصادق، الذي يتخلق به المسلم، ويدين الله به، وصدق الله بقوله في نبيه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله، وإن سمعنا مجالات الرحمة في كتاب الله، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم-؛ فما أحوج البشرية إلى هذه الأخلاق العظيمة، وما أشد افتقارها إلى هذه الرحمة العظيمة، إن عالمنا وإن تقدم علميا وتقنيا، وبلغ أشد التقدم الصناعي والمادي والرقى في هذه الدنيا، إلا أنه يفقد الجانب الروحي والأخلاقي، يفقد الجانب الروحي والأخلاقي، التي جاءت بها شريعة الإسلام، تلك الرحمة التي حقيقتها تضميد جراح المجروحين، ومواساة الضعفاء والمساكين، والتألم بالآلم المصابين، والحرص على حماية الدماء المعصومة، والأموال المعصومة، ولكن هذا الرقى عند كثير من العالم، رقى خال من الرحمة والعطف والإحسان، مجتمع إنما الحكم فيه لمنطق القوة والغطرسة والظلم والعدوان؛ فعند ذلك لا رحمة نسمعها ولا عطف ولا إحسان، ولكن ظلم وعدوان، ورمي بكل المواثيق والدوس بالأقدام عليها، وما كأن البشر إلا ذباب يسלט عليه أنواع الأسلحة؛ فيدمر المنازل والبشر ويقضى على الناس بكل مستطاع، ولا خجل ولا حياء ولا رحمة، إذ الرحمة الحقيقية هي التي جاء بها الإسلام، رحمة تعامل بها أخوانك، بل رحمة تعامل بها حتى أعدائك؛ فرحمة الإسلام رحمة عامة يتخلق بها المسلم مع المؤمنين وغير المؤمنين؛ فهو يحترم دماء المعصومين والمعاهدين، ويحترم أموالهم وأعراضهم، ويحكم بينهم بالعدل، ويعاملهم بالقسط، هكذا شريعة الإسلام: (فَأَحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ)، (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)؛ فشريعة الإسلام شريعة الرحمة لبني الإنسان كلها، شريعة الرحمة والخير والفضل والعدل، لا ليس كما يقول الآخرون ذوو المواقف السيئة، والإجرام العظيم، يحكمون منطق القوة مهما تكن الحال، فلا رحمة ولا رقة، ولكن ظلم متأصل، وعدوان متمكن في قلوبهم.

نسأل الله، أن يوفقنا جميعا للعمل بشريعة ربنا والتمسك بها، وأن نطبقها على واقعنا قولا وعملا إنه على كل شيء قدير.

واعلموا -رحمكم الله-، أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجملة المسلمين، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ، شذ في النار، وصلوا -رحمكم الله- على محمد صلى الله عليه وسلم امتثال لأمر ربكم قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين، الأئمة المهديين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبينا أجمعين، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وجودك وإحسانك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين، واجعل اللهم هذا البلد آمنا مطمئنا، وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين.

اللهم آمنا في أوطاننا و أصلح أئمتنا وولاة أمرنا، اللهم وفقهم لما تحبه وترضاه إنك على كل شيء قدير، اللهم وفق إمامنا إمام المسلمين عبد الله بن عبدالعزيز لكل خير، اللهم أره الحق حقا ووفقه لإتباعه وأره الباطل باطلا ووفقه لاجتنابه، و دلّه على كل عمل تحبه وترضاه، اللهم كن له عوناً ونصيراً، اللهم اجمع به كلمة الأمة، ووحده به صفوفها على الخير والتقوى إنك على كل شيء قدير.

اللهم وفق ولي عهده سلطان بن عبد العزيز لكل خير، اللهم أمدّه بعونك وتأيدك وارزقه السداد في أقواله وأعماله، واجعلهم جميعاً أعواناً على البر والتقوى إنك على كل شيء قدير.

ربنا اغفر لنا، ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلته قوة لنا على طاعتك وبلاغ إلى حين، اللهم أغثنا! اللهم أغثنا! اللهم أغثنا! اللهم سقيا رحمة لا سقيا بلاء ولا هدم ولا غرق، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون؛ فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على عموم نعمه يزددكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.